وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

موقف نصارى الشام من الحروب الصليبية

تقديم

م . د . ازهار غازي مطر

١٤٣٦ هـ ٢٠١٦ م

الملخص

كان النصارى يشكلون عنصراً مهماً من العناصر السكانية في بلاد الشام وكانوا ينقسمون في بلاد الشام الى عناصر مختلفة ، منهم النصارى السوريون والارمن واليونان ، امـا النصارى السوريون فقد قاموا بدور ملحوظ بالنسبة للحملة الصليبية فقد تعاونوا مع الصليبيين في انتزاع بيت المقدس اذ كان لمساعدة نصارى ارتاح اثر كبير في استيلاء الفرنج عليها سنة (٤٩٠ هـ) اذ قام سكان البلاد النصارى بذبح الحامية الموجودة في ارتاح ، وعندما اقترب الصليبيون من انطاكية لم يجدوا صعوبة في ألتماس الاصدقاء في داخل المدينة ، ذلك انه انظم الى المعسكر الصليبي عدد كبير من النصارى من سكان انطاكية الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم في داخل المدينة من خلال باب القديس جورج في الغرب ، فتيسر للصليبيين الوقوف على ما يحدث داخل انطاكية ، وقد قاسى الصليبيون من المجاعة التي لحقت بهم اثناء حصار انطاكية حتى انه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص ، ولذلك سارع النصارى والارمن بتقديم كل ما استطاعوا جمعه الى المعسكر الصليبي ، كما كان للنصارى دور ملحوظ في استيلاء الفرنج على معرة النعمان ٤٩١ هـ ، وعندما اشتد الجوع والعطش بالصليبين المحاصرين لبيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ قام النصارى بدور المرشدين الى مناطق الغابات والينابيع كما انهم ساعدوا صنجيل الفرنجي في حصار طرابلس سنة ٤٩٥ هـ .

المقدمـــة :

يعود تاريخ الصراع بين الاسلام والنصرانية الى بداية الجهاد ضد الروم في غزوة مؤته واستمر هذا الصراع مع حملة الصليب عبر الاندلس وصقلية وفلسطين وسواحل بلاد الشام ، فالحرب بين الاسلام والنصرانية لم تتوقف منذ مطلع الدعوة الاسلامية وحتى عصرنا هذا ، فغزوة مؤته (٨ هـ) مثالاً للصراع المبكر بين المسلمين والبيزنطيين وكذلك معركة اليرموك بقيادة كبار الصحابة (رض) وانتهى الامر باسترجاع تلك البلاد أي بلاد الشام من ايدي الروم الغزاة . ثم جاءت معركة ملاذ كرد والتي تعتبر من المعارك الفاصلة

في تاريخ الصراع الصليبي مع السلاجقة وانهزم فيها الروم وأُسر الامبراطور نفسه على يد القائد (ألب ارسلان) [1] ، وكان الامبراطور قد رفض مهادنة المسلمين وسار بجيوش جرارة يعاونه كثير من النصارى الاوربيين الذين وفدوا على بيزنطة ليساعدها في غزوها للمسلمين . ومنذ ان وقعت الكارثة على النصارى في معركة ملاذ كرد صاروا لا ينقطعون عن طلب النجدة العاجلة من البابوية وكانت هذه الصيحات من جملة اسباب توجه النصارى الصليبين الى بلدان المسلمين والتي عرفت فيما بعد بالحروب الصليبية الشهيرة ، هذه الحروب التي استمرت مائتي سنة وكانت الحملات فيها تتوالى من الغرب الصليبي واشترك فيها ملوك وامراء اوربا ، وكان الصليب فيها شعارهم ، جاءت بعدها حرب الابادة في الاندلس بين المسلمين والنصارى ، حيث كانت تتعالى فيها تراتيل المؤذنيين أمست نواقيس الكنائس فيها تصم الاذان حتى لا يسمع للتوحيد صوتاً في تلك الارض وفي سنوات معدودة لم يبق للاسلام فيها أثــر ، وقد كانت ابادة المسلمين في الاندلس وصمة عار على النصارى رغم السماحة التي عومل فيها النصارى من أهل اسبانيا طوال قرون اذ سَمح المسلمون لهم ان يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم وعين لهم حكام للاقاليم من أنفسهم ، وقد وصف الحال الشاعر ابو البقاء الرندي هذه المسألة في قصيدة حيث يقول :

تبكي الحنيفية البيضاء من أسقٍ

كما بكى لفراق الالف هيمانِ

حيث المساجد قد صارت كنائس

ما فيهن إلا نواقيس وصلبانِ

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة

حتى المنابر ترثى وهي عيدانِ

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ

إن كان في القلب اسلام وايمانِ

كما تعاون النصارى مع المغول القدامى ضد المسلمين ، وقد هدم المغول مساجد المسلمين وقتلوهم وحرصوا على حماية ارواح النصارى وممتلكاتهم وحافظوا على كنائسهم . ولذلك فـان الصراع بين النصرانية والمسلمين طويـــل .

احوال النصارى في ظل الدولة الاموية والعباسية

بعد اكتمال عمليات التحرير والفتح الاسلامي في الاراضي العربية عملت الكنائس على تثبيت من تبقى على دينه من نصارى العرب وساعد على ذلك سياسة التسامح الديني التي سلكتها الدولة الاسلامية تجاه اهل الذمة عموماً ، وخاصة بعد ان حُسِم موضوع التعامل الضريبي بدفع الجزية لسائر الذميين والمعاملة الخاصة في الضرائب لأهل نجران وتغلب [٢] . وتابع المسيحيون ممارسة طقوسهم الدينية بحرية مـــا عـدا الفترات التي اتسمت بالتشدد في عهد الخليفتين عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ - ١٠١ هـ) والمهدي العباسي (١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ) حيث حضر عليهم التبشير واحتفظوا بكنائسهم واديرتهم القديمة ، وحُظرت عليهم بناء كنائس جديدة ، حين تمكن المهدي العباسي من تحول كل نصارى تنوخ المقيمين بجهة حلب الى الاسلام حسب رواية ابن الكلبي الذي قال فيها " تلقت تنوخ المهدي لما خرج الى الشام وهي على الخيل عليهم العمام فقال من هؤلاء ؟ قيل تنوخ وهم نصارى فدعاهم الى الاسلام فابوا فضرب عنق سيدهم ابن محطة فأسهم الباقون وهدم بيع تنوخ فليس من تنوخ نصراني " . [٣]

يبـــدو ان قوة الدولة العربية الاسلامية في تلك الفترة تحتم على النصارى الانصياع الى الاوامر والقرارات التي تصدرهـــا الدولة والالتزام وعدم التمرد عليها فضلاً عن روح

التسامح في النصراني جعلت نصارى الشام مسالمين لفترات كثيرو من عمر الدولة الاسلامية .

اوضاع النصارى في إمــارة عكــا

كانت عكا هي مركز إمارات النصارى في الشرق الاسلامي ، وكانت معنويات النصارى فيها شبه منهارة بسبب النزاع بين امراء النصارى وبسبب كسر جيوشهم على يد المسلمين غير مرة حتى وصفهم المؤرخ الانكليزي (متي الباريسي) : " أن أهالي عكا أنفسهم كانوا يخشون الابتعاد عن مدينتهم ، وينتظرون في أي حين محاصرتها من قِبل المسلمين واستسلامها لهم ، وذلك أنهم كانت تنقصهم المؤن والازواد ولا يأملــون بالخلاص لِمـا ينتابهم من الفزع " (٤)

وقــد دعت هذه المسألة المنهارة أسقف بيروت غاليرات الى السفر الى فرنسا لاطلاع الاوربيون على ما حلَ بنصارى الشرق من مواجع ، فأستغل ذلك البابا (اينوسنت الرابع) ليعقد مجمعاً كنسياً في ليـون عام ١٢٤٥ م وأعلن رسمياً عن حملة يجري تجهيزها لتخليص بيت المقدس بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع ثم جدد البابا حرمانه للإمبراطور الالماني فردريك الثاني (٥) ، وفي هذه الاثناء كانت شوكة المغول تزداد قوة واجتياحهم للمالك والبلدان بــدأ يظهر (٦) ، فحاول النصارى عقد حلف مغولي صليبي لتطويق العالم الاسلامي ولكن المغول رفضوا ذلك لان لهم اطماعاً تخصهم تتمثل في السيادة على العالم كله ورأوا ان قوتهم الضاربة لا تجهزهم الى التحالف مع النصارى (٧) .

سار الملك لويس التاسع بحملته الى مدينة ليون ثم أبحـر الى قبرص في عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل تحملهم (١٨٠٠) سفينة وانتظر في قبرص حتى يصل اليه باقي الصليبين فلما تكاملت قواتهم أبحر من قبرص صوب الساحل المصري عام ٦٤٧ هـ فأصاب الله تعالى النصف الاخير من أساطيلهم بريح مزقتهم في البحر فجنحوا الى سواحل

سوريا مضطرين وبقي لويس التاسع على شاطئ دمياط بمن بقي معه من السفن [٨] ، ونزل الى البحر وخطب في الجموع الصليبية الحاشدة قائلاً لهم " أيها الاصدقاء المخلصون اعلموا أننا لن نغلب طالما لازمتنا المحبة ولولا ارادة الله لما كنا وصلنا الى هنا بهذه السرعة فلنقتحم هذه البلاد مهما تكن ولنحتلها بقوة فأنا لست ملك فرنسا ولا الكنيسة المقدسة بل انتم كل ذلك وما انا سوى فرد تنتهي حياته مثل أي فرد آخر عندما يأذن الله بذلك فإن غُلِبنا فَسَنصعد الى السماء شهداء وإن انتصرنا نحمد الله على نعمائه وسيكون مجد فرنسا أو سيكون مجد المسيحية بأجمها كبيراً " [٩] . فهاجمهم المسلمون فور نزولهم بقيادة الامير فخر الدين الايوبي ليمنعوهم من التوغل في اليابسة وليرجعوهم الى البحر لكن لم يستطيعوا لكثرة النصارى مما جعل المسلمين ينسحبون فأحتل وسكن الصليبيون بيوت المسلمين وبادروا بتحصينها [١٠] .

وأبحر الملك لويس الى عكا واستلم المسلمون دمياط بعد ان بقيت في ايدي الصليبين أحد عشر شهراً وسبعة أيام وسمح الملك لويس لمن اراد من جنده السفر الى بلادهم وبقي يعمل على تحصين الممالك الصليبية في الشام مع محاولة توسيع هوة الخلاف بين سلاطين المسلمين [١١] ، فوقع له ما يريد إذ تحارب المماليك والايوبيين حرباً ضروساً انتصر فيها المماليك ، فأنتهز لويس الفرصة وطلب من المماليك اطلاق سراح الافرنج الموجودين في السجون المصرية فلبى المماليك طلبه اعترافاً بجميله في رفضه التحالف مع الايوبيين ضدهم [١٢] . واتفق على مصالحة بين الملك لويس والمعز أيبك المملوكي تقضي بعقد هدنه [١٣] ، لمدة خمسة عشر عاماً مع اعطاء النصارى البلاد الواقعة غربي الاردن بما فيها القدس والخليل ونابلس إلا ان المصالحة لم تتم ، إذ تدخل الخليفة العباسي المستعصم بالله فأصلح بين المماليك والايوبيين [١٤] .

وبعـد هذا الصلح بين الفئتين المسلمتين هاجم الملك الناصر يوسف الايوبي صيدا التي كانت بيد النصارى وقتل منهم وأسر ما يقارب من ألف ومائتي مقاتل عام ٦٥١ هـ [١٥] .

وفي عام ٦٥٢ هـ رحل الملك الفرنسي من عكا الى فرنسا تاركاً قسماً من جيشه في عكا وبرحيله عادت الخلافات بين الامراء الصليبين من جديد وتقاتلت جيوشهم فوقع في قتالهم ما يقرب من عشرين ألف قتيل مما أدى الى ضعف الفرنجة في بلاد الشرق الاسلامي [١٦] . وما هيَ إلا أربع سنوات حتى كان الاجتياح المغولي الشهير الذي قضي فيه على الخلافة العباسية وقتل الخليفة المستعصم بالله عام ٦٥٦ هـ [١٧] ، وكان أكثر الصليبين في الولايات الصليبية وخاصة في عكا قد اعلنوا حيادهم وترقبوا أي الفريقين ينتصر وبعض منهم عاون التتار على المسلمين [١٨] ، ثم كانت وقعة عين جالوت التي كسر فيها التتار وانتصر المسلمون بقيادة الملك المظفر قطز [١٩] وعقبه تولى عرش السلطنة في مصر الظاهر بيبرس [٢٠] فكرس حياته لغزو الامارات الصليبية في الشرق الاسلامي فطهر كثيراً من بلاد سوريا ولبنان والقدس منهم وما هيَ إلا ثمانية اعوام حتى استطاع الاستيلاء على اغلب مملكات الافرنجة في الشرق [٢١] ، أمـا هنري الثاني ملك قبرص وعكا فقد حاول تحصين عكا وتقويتها والقضاء على خلافات الصليبين فيها وتوحيدهم ثم عقد هدنه مع السلطان قلاوون مدتها عشر سنوات وعشر أشهر [٢٢] ، وكان الصليبيون يرجون ان تبعث أوربا حملة جديدة تقوي من بقي منهم في عكا [٢٣] .

وقـد جهزت حملة شعبية من ايطاليا الوسطى وصلت الى عكا عام ٦٨٩ هـ ضمن عصابات من همج أوربا كتلك العصابات التي قادها بطرس الناسك [٢٤] في الحملة الاولى وقاموا بالنهب والسلب والتعرض للفلاحين الامنين والتربص بقوافل المسلمين فكتب السلطان قلاوون الى أميـر النصارى في عكـا يطالبه بتسليم المجرمين المعتدين فرفض

ذلك فأعتبر قلاوون هذا التصرف نقضاً للهدنه فجهز جيشاً لغزو عكا وتأديب همج أوربا لكنه توفى [٢٥] ، وتولى بعد ابنه الاشرف صلاح الدين فسار على رأس الجيش الذي جهزه والده وضرب الحصار على عكا فحاول النصارى مفاوضته فـأبـى إلا أن تسلم له المدينة ويغادرهـا النصارى آمنين [٢٦] ، وقد هبَ لنجدتهِ النصارى في عكا جموع من أفرنج سوريا وقبرص وزوار أتـو مع مجموعات من البحارة الايطاليين بلغوا ثمان مئة فـأرسل أربعة عشر راجل عدا الاهالي وشدد المسلمون الحصار على عكا وقذفوها قذفاً شديداً [٢٧] .

محاولات تسييـر حمـلات أُخرى

بعـد سقوط عكا وانتهاء الحكم الصليبي في الشرق الاسلامي حاول البابا (نيقولا الرابع) تهييج النصارى في أوربا بإلقاء المواعظ والخطب التي ذكرهم فيها بسقوط ممالك الصليب في الشرق الاسلامي وعقد المجامع الكنسية منادياً بإعـادة مملكة عكا وبيت المقدس لكن الاوربيين تعبوا من تسيير حملاتهم الى الشرق الاسلامي وأحسوا بحجم الخسائر التي لحقتهم من جراء ذلك على مدى قرنين من الزمن [٢٨] .

ثـم حاول النصارى الارمن ومن بقي معهم من النصارى الروم تحت الحكم الاسلامي في مصر والشام التحالف مع المغول وحصل ذلك لكنهم كسروا غير مرة [٢٩] . وتواصلت نداءات الباباوات في أوربا لتسيير حملات أخرى الى الشرق ، وشن القبارصة والارمن وغيرهم من النصارى عدة غارات على المسلمين لكنها فشلت وكانت محاولاتهم عام ٨٣٠ هـ وأنتصر عليهم المسلمون بقيادة الملك أبي النصر بريساوي التركماني إذ كسر القبارصة وأسر ملكهم جانوس وخضعت قبرص لسلطته المصرية الاسلامية ووضعت فيها حامية مصرية [٣٠] .

يتضح مما سبق انه رغم العنف الذي استخدمه الصليبيين ضد المسلمين ورغم التفوق العددي على المسلمين والمحاولات العديدة من الهجمات على مناطق أو امارة عكا لكنها في النهاية خضعت لسلطة المسلمين على الرغم من محاولة استعادة الصليبين لها أكثر من مرة ، إلا أن الامر لم ينجح بسبب قوة واصرار وارادة المسلمين على استعادة عكا والامارات العربية الاخرى .

دور نصارى سوريا

كان المسيحيون يشكلون عنصراً مهماً من العناصر السكانية في بلاد الشام وكانوا ينقسمون في بلاد الشام الى عناصر مختلفة فمنهم المسيحيون السوريون والارمن واليونان [٣١] ، فالبعض من المسيحيون السوريون قاموا بدور ملحوظ بالنسبة للحملة الصليبية الاولى فقد تعاونوا مع الصليبين في انتزاع بيت المقدس من المسلمين [٣٢] ، حيث كان للنصارى السوريون فضل مع الملك ريتشارد عندما اراد احتلال بيت المقدس حيث تمكن من تحسين علاقته بالبدو في صحراء سيناء حيث أجزل لهم العطاء فصاروا يطالعونه بتحركات جيوش صلاح الدين [٣٣] . وعندما أشتد الجوع والعطش بالصليبين المحاصرين لبيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ قام النصارى بدور المرشدين الى مناطق الغابات والينابيع [٣٤] .

وعندما قام سكان البلد المسيحيون بذبح الحامية العربية الموجودة في أرتاح [٣٥] ، وكان للنصارى دور ملحوظ في استيلاء الفرنج على معرة النعمان [٣٦] سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م واضافة الى انهم ساعدوا صنجيل الفرنجي في حصار طرابلس سنة ٤٩٥ هـ [٣٧] . اما الارمن فيتضح موقفهم عندما وصل الصليبيون الى منطقة أرمينية في جبال طوروس فقد مد لهم سكانها من الارمن المسيحين يد المساعدة وأحسنوا استقبالهم ومعاملتهم وزودهم بكل ما كانوا يحتاجون اليه من مؤن وأقوات ولولا ذلك لاخفق الفرنج في

مواصلة الزحف ولألحق بهم السلاجقة هزيمة منكرة ، ولكن هذه المساعدات التي تلقوها من الارمن هيأت لهم الجو لمواصلة العدوان المسلح والتوغل في الشرق الاسلامي [٣٨] .

موقف نصارى أنطاكيا

لقد ارتابى أهالي المدينة بالإغريق والسريان والارمن وبجميع السكان الاخرين الذين كانوا يعتنقون الدين المسيحي فعندما وصل الجيش امام أسوار انطاكية ووضعت المدينة تحت الحصار فقد طردوا من المدينة جميع الضعفاء الذين لم يكن لديهم المؤن الضرورية لأعالة أنفسهم خشية ان يُصبحوا عبئاً على المدينة [٣٩] ، ولم يُسمح لهم بالبقاء في المدينة إلا الاغنياء ، وقد أثقل هؤلاء النصارى بالخدمات والاعباء الكثيرة حتى صار مصير المنضمين أكثر سعادة من مصير الذين سُمِح لهم بالاحتفاظ باقامتهم هنالك وقد عقد ضلامهم مداولة سرية قبل ثمانية ايام من الاجتماع الذي دعي به فيروز اليه ، وقرروا انذاك انه من المتوجب قتل المسيحيين القاطنين في انطاكية سراً اثناء الليل ، وكان في المدينة زعيم قوي وحكيم أظهر نفسه كصديق دوماً للمسيحين وقد تم ايقاف المذبحة لمدة ثمانية أيام بوساطة جهود هذا الرجل [٤٠] ، على الرغم من معارضة الاخرين ولولا هذا التأجيل لكان تنفيذ هذه الخطة قد تم ، وقد جاء القبول بفكرة الارجاء لثمانية ايام على أساس أخذ فرصة يمكن من خلالها التأكد فيما اذا كانت هنالك امكانية انتهاء الحصار [٤١] ، وقد أكتشف العديد من الكفرة في منازل المسيحين عندما تم الاستيلاء على المدينة بالقوة ، لقد كانوا قد اتوا لذبح المؤمنين الابرياء حسبما صدرت الاوامر اليهم [٤٢] . وعندما اقترب الصليبيون من انطاكية لم يجدوا صعوبة في ألتماس الاصدقاء في داخل المدينة ، ذلك انه انظم الى المعسكر الصليبي عدد كبير من المسيحين من سكان انطاكية الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم في داخل المدينة من خلال باب القديس جورج في الغرب فتيسر للصليبين

الوقوف على ما يحدث داخل انطاكية [٤٣] . وقد قاسى الصليبيون من المجاعة التي لحقت بهم اثناء حصار انطاكية حتى انه كان يموت شخص من بين كل سبعة أشخاص [٤٤] ، لذلك سارع النصارى والارمن بتقديم مل ما استطاعوا جمعه الى المعسكر الصليبي [٤٥] . وقد كان سقوط انطاكية حدثاً مهماً في تاريخ الحروب الصليبية نظراً لكون هذه الامارة من الامارات الصليبية المهمة والرئيسية في بلاد الشام فقد أسسها الصليبيون في الشرق الاوسط سنة ١٠٩٧ م بعد تأسيسهم لإمارة الرها وكان تحرير انطاكية بداية النهاية لممالك الصليبين في الشام [٤٦] .

يبدو ان موقف النصارى في انطاكية كان مؤدياً للصليبين ايضاً على الرغم من انه اوضاع النصارى في ذلك الوقت أفضل من نصارى الغرب . حيث يمكن أن نعتبر القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي عصراً ذهبياً بالنسبة لأوضاع نصارى الشام ذلك أن قدوم الصليبين الى الشام أدى الى بعض ردات الفعل ضد النصارى الشاميين [٤٧] .

موقف النصارى عموماً من الحروب الصليبية

كان من أهداف الحروب الصليبية فرض المذهب الكاثوليكي على العالم وهو ما يُسمى بـ (كثلكة الشرق) وهو المشروع الاهم والهدف الأكبر من تلك الحروب ، وكان نصارى الشرق (أرثوذكس) خائفين من هذه الكثلكة ويريدون مكافحتها ، وفي الوقت نفسه يودون محو الاسلام وإنهاءه من الوجود [٤٨] ، ولذا فإن مواقفهم سواء من الحروب الصليبية أو ما تلاها من حركات استعمارية كان متأرجحاً بين هاتين النظريتين فمن نصارى الشرق من حارب مع المسلمين حفاظاً على مذاهبهم من الكثلكة [٤٩] . وليس حباً في المسلمين أو دفاعاً عن تراب الوطن أو عصبية للعرب كما يصور ذلك الوطنين

والقوميون فكل ذلك لا أساس له من الصحة لأن عداوة أهل الكتاب وحقدهم على الاسلام وحسدهم للمسلمين جاءت به الآيات الواضحات مما لا يمكن أن يُعارض بها حوادث تاريخية يوجد لها تفسير ظاهر راجح علماً أن النصارى في الشرق في أول أمرهم ساندوا الصليبين على المسلمين في الحملة الاولى وشاركوا في قتل المسلمين في الرها [٥٠] .

ومع تقدم الصليبين واستيلائهم على بيت المقدس وجد نصارى الشرق ان ولاية المسلمين عليهم أرحم من ولاية الاوربيين ، فالمسلمون تركوا لهم دينهم ولم يُكرهوهم على الاسلام [٥١] ، بينما الاوربيون حاولوا كثلكتهم بالقوة عن طريق سوء معاملتهم وتحويل كنائسهم الى كنائس لاتينية ومنعوا الاقباط من زيارة بيت المقدس على اعتبار انهم هراطقة ومع ذلك قام الموارنة ونصارى سوريا والارمن من مساعدة الصليبين على المسلمين [٥٢] .

ماذا استفاد النصارى من الحروب الصليبية :

لقد عادت الحروب الصليبية بعدد من الفوائد على النصارى وكان من أهمها :

١- **الحضارة والعلم :** فقد كانت الحروب الصليبية من المسالك التي نقلت حضارة الشرق الى الغرب الذي كان همجياً متخلفاً فقد شاهد الصليبيون ما تنعم به بلاد الشرق الاسلامي من أنوار العلم والحضارة في مختلف المجالات مما غير نظرتهم الى الحياة وأوجدوا لديهم حوافز التعلم والتحضر [٥٣] .

لقد وجد الصليبيون أنفسهم امام حضارة اسلامية ذات إشعاع عظيم فبهرهم هذا الاشعاع ولمسوا التفوق السياسي والتنظيم الاجتماعي عند العرب فعادوا يحملون انطباعاتهم وينشرون الدعوة الى اصلاح شامل يبدأ بتحرير الفكر وتسهيل التبادل المادي والفكري [٥٤] . ومن الدلائل على ذلك ان أول جامعة أُسست في أوربا جامعة نابولي أسسها الامبراطور الالماني فردريك الثاني الذي قاد الحملة الصليبية السادسة

ممـا يـدل على تأثـره بمـا عند المسلمين من علوم لا سيمـا وانه أطلع على أثارهم في صقليـة بعد انتزاعها من حكـام الانـدلـس (٥٥) .

٢- **الاصلاح السياسي :** فقـد كـان الاقطـاع هو النظـام السائـد في أوربـا وكان الاقطاعيين ملوكـاً بجانب ملوك أوربـا بل أعظم ، كمـا كانت الكنيسة متنفذه وازداد نفوذهـا في الحروب الصليبية ممـا دعـا مُفكري أوربـا الى الثورة على الكنيسة (٥٦) ، ومـن ثم انـدلعـت حركة الاصلاح الديني وأول من ثـار على الكنيسة ملوك انجلتـرا والمانيـا اللتين كان لكثيـر من ملوكهـا وامدائهما إقامـة في الشرق الاسلامي ايام الحروب الصليبية ، ممـا يعني تأثـرهم بالمشارقة المسلميـن (٥٧) ، وتعد الاصلاحـات التي أدخلهـا الملك الفرنسي لويس التاسع نتيجة لمشاهداتـه التي رآهـا في مصر والشـام عندمـا قاد الحملة الصليبية السابعة (٥٨) .

٣- **معرفة الاوربيين لعلـوم الطـب :** كانت الكنيسة الكاثوليكية تُحـرم الطـب وصنـاعتـه لاعتقادهـم ان المرض عقاب من الله لا ينبغي للإنسان ان يصرفه عمـن يستحقـه وظل الطب ممنوعـاً الى ما بعـد دخـول القرن الثاني عشر الميـلادي (٥٩) . ونتيجة لاختلاط النصارى بالمسلمين في الحروب الصليبية ورؤيتهم لمـا كانوا عليه ومـا كـان عليه نصـارى المشرق من معرفـة به تغيـرت نظرتهـم وبدأوا بتعلمـه (٦٠) . وقـد ذكر أحد مؤرخي الصليبين أن نصـارى الشرق أفـادوا نصـارى الغـرب بتطبيبهم أيـام الحروب الصليبيـة وبترجمـة كتب العرب الى لغتهـم لمـا أرادوا تعلمـه (٦١) . كمـا استفـادوا من التقدم العمرانـي واتسـاع التجارة بنقل بعض الزراعـات والصناعـات من الشرق الى بـلادهـم وتعلمـوا التنظيـم والادارة وحياة الرفاهيـة التي كانت في الشرق الاسلامي ممـا مهد للثورات الصناعيـة والتجارية في أوربـا التي حدثـت بعد ذلـك (٦٢) .

يبدو انه النصارى في الغرب أو الحملات الصليبية عموماً على الرغم من الفشل الذي أصابهم إلا أنهم استفادوا من العرب من حيث نقل العلوم والحضارة الى الغرب حتى وان لم تتحقق مصالحهم الاستعمارية في استرجاع بيت المقدس أو السيطرة على أجزاء من الاراضي العربية .

الخاتمة

١. كانت الحملة الصليبية الاولى مشروعاً كنيسياً خالصاً وكانت البابوية تهدف من ورائه الى أهداف كثيرة منها فرض سيطرتها على نصارى الشرق ، وانهاء الاتفاق بين كنيسة روما وبيزنطة وتوحيدهما من جديد تحت زعامة البابا ، ولم تكن حملات إنقاذ كما زعم المستشرقون ، فقد عاش النصارى في كنف الحكم الاسلامي عيشه هانئة .
٢. ساهم النصارى المحليون في تعزيز الوجود الصليبي فقد استعان بهم الصليبيون من أجل معرفة أكبر بالطبيعة الجغرافية لبلاد الشام .
٣. استعان الصليبيون بالعناصر النصرانية المحلية في مواجهة مشكلة نقص العنصر البشري لديهم وهي مشكلة طالما أرقت الصليبين نظراً للتفوق العددي للمسلمين .
٤. غير الحكم الصليبي من أوضاع النصارى المحليين في بلاد الشام فأصبحوا عبيد للسيد الاقطاعي يتحكم في جميع أمورهم وتم ربطهم بالأرض ولم تتح لهم حرية التنقل والتجارة والزواج على عكس ما عهدوه إبان الحكم الاسلامي الذي أعطاهم استقلالية تامة من خلال الشريعة الاسلامية السمحة .
٥. لم تكن صفة الشمولية واردة في مواقف النصارى المحليين وذلك لعدم وجودهم في مكان واحد وانتفاء وجود زعامة واحدة واختلاطهم مع المسلمين .

٦. كان النصارى تحت الحكم الصليبي بمثابة الخلفاء ولكنهم افتقدوا حرية اداء طقوسهم حسب معتقداتهم التي كانوا يتمتعون بها تحت الحكم الاسلامي ذلك ان الصليبين قدموا غزاة ففرضوا ارائهم عليهم كما فرضوا ضريبة العُشر عليهم .

٧. كانت استعانة بعض الحُكام المسلمين بالموظفين النصارى لها نتائجها السلبية مع الجانب الاسلامي .

٨. في العهد المملوكي كان تعاون النصارى مع الصليبين يواجه برد حاسم أتضح ذلك من تصرف الظاهر بيبرس مع نصارى قارا لِما حل بالصليبين من هزائم على يد الظاهر بيبرس .

٩. لم ينتهِ تعاون النصارى في الشام بعد طرد الصليبين نهائياً من بلاد الشام فكان الموارنة يتطلعون الى عودة الصليبين .

الهوامش و المصادر

١. الب أرسلان : - ابو شجاع الملقب تاج الدولة ويسمى محمد أبن رضوان ، ملك حلب مات أبوه رضوان وهو صبي ، كانت ولادته سنة اربع وعشرين واربعمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين واشهر ، توفي يوم السبت ونقل الى مرو . ينظر : ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر (بيروت - ١٩٩٤) ، ج ٥ / ص ٦٩ - ٧٠ .

٢. ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) ، نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق ناجي حسن ، مكتبة النهضة ، (بيروت - ١٩٨٨) ، ج ٢ / ص ٤٠٦ .

٣. ابن الكلبي ، نسب معد ، ج ٢ / ص ٤٠٧ .

٤. البرجاوي ، احمد ، الحروب الصليبية في المشرق ، (مصر - د . ت) ، ص ٥٤٥ .

٥. الحريري ، الحروب الصليبية ، دار المعرفة ، (بيروت - د . ت) ، ص ٢٤٩ .

٦. خاشع المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي والحروب الصليبية ، دار الكتب للطباعة ، (بغداد - ١٩٨١) ، ص ٢٤٩ .

٧. المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ .

٨. المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ٢١٦ ؛ الحميدة، سالم محمد ، الحروب الصليبية ، ط ١ ، (بغداد - ١٩٩٤) ، ج ٤ / ص ٢٦٥ .

٩. البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ج ٤ / ص ٢٦٨ .

١٠. الحميدة ، الحروب الصليبية ، ج ٤ / ص ٢٦٨ .

١١. البرجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص ٥٧٨ .

١٢. المصدر نفسه ، ص ٥٧٩ .

١٣. ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر(ت٤٧٧) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، (القاهرة - د . ت) ، ج ١٣ / ص ١٥٤ .

١٤. المصدر نفسه ، ج ١٣ / ص ١٥٥ .

١٥. الحريري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٥٧ .

١٦. المصدر نفسه ، ص ٢٥٧ .

١٧. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ١٦٧ - ١٧٢ ؛ ابن العماد ، الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، (بيروت - د . ت) ، ج ٥ / ص ٢٧٠ .

١٨. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ١٧٣ .

١٩. المظفر قطز : - وهو ناصر الدين ابن بلقاق سيف الدين المنصوري ، توفي بعد عام (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) . ينظر : المقريزي ، احمد بن علي تقي الدين ابو العباس (ت ٨٤٥ هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، (القاهرة - ١٢٧٠ هـ) ، ج ٢ / ص ٤٢ - ٤٣ .

٢٠. الظاهر بيبرس : هو ركن الدين بيبرس البندقداري سلطان الديار المصرية أصله من مماليك الامير علاء الدين ايدكت البندقداري ثم انتقل الى الملك الصالح نجم الدين ايوب وكان من أقوى الملوك وأعظمهم وهو احد من قام بنصرة الاسلام وفتح الفتوحات الهائلة . ينظر : الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت - ١٩٧٤) ، ج ١ / ص ٢٣٥ ؛ ابن العماد ، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي ، (ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، (بيروت - ١٩٧٩) ، ج ٢ / ص ٣٤٩ .

٢١. ،ابن العماد، شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٢٧١٠ ؛ الحريري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٦٨ .

٢٢. المعاضيدي ، الوطن العربي والحروب الصليبية ، ص ٢٣٥ .

٢٣. ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤٠٣ .

٢٤. بطرس الناسك : - وهو راهب من مدينة أميان الفرنسية واحدى الشخصيات المحورية في تاريخ الحملة الصليبية الاولى كان متحدثاً مفهوماً وشخصية قادرة على التأثير على الجماهير ، وهو القائد الروحي لِما يُسمى بحملة الفقراء ، توفي

سنة ١١١٥ . ينظر : المغلوث ، سامي بن عبد الله بن احمد ، اطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي حتى العصور الوسطى ، طـ ١ (د . م - ٢٠٠٩) ، ص ٢٧١ .

٢٥. ابن العماد ، شذرا الذهب ، ج ٥ / ص ٤٠٣ .

٢٦. المصدر نفسه ، ج ٥ / ص ٤١٠ .

٢٧. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ / ص ٤١٩ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .

٢٨. البرجاوي ، الحروب الصليبية في المشرق ، ص ٦٤٢ .

٢٩. المصدر نفسه ، ص ٦٤٣ .

٣٠. شلبي ، احمد ، الحروب الصليبية ، (القاهرة - د . ت) ، ص ٢٩ .

٣١. زكار ، سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية ، صنفه باللاتينية ، وليم ، دار الفكر ، (بيروت - د . ت) ، ج ١ / ٨ص ١٤٨ ؛ الجنزوري ، علية ، الحروب الصليبية المقدمات السياسية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، (مصدر - د . ت) ، ص ٢٤٨ ؛ المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ١٨٨ .

٣٢. العريني ، السيد الباز ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، (القاهرة - ١٩٦٣) ، ص ١٩ .

٣٣. ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، طـ ٣ ، دار الكتاب العربي ، (لبنان - ١٩٨٠) ، ج ٨ / ص ٤٤٦ .

٣٤. المصدر نفسه ، ج ٨ / ص ٤٤٦ .

٣٥. الجنزوري ، الحروب الصليبية المقدمات السياسية ، ص ٢٨٥ ؛ الصلابي ، علي محمد ، دولة السلاجقة ، طـ ١ ، دار المعرفة ، (لبنان - ٢٠٠٦) ، ص ٥٦٤ .

٣٦. معرة النعمان : مدينة الشام والثمار والخصب شرب أهلها من الابار بينها وبين حلب ستة وثلاثون ميلاً ، يُنسب اليها كثير من العلماء في كل فن ، وهناك معرتان : معرة النعمان ومعرة نسرين . ينظر : ياقوت الحموي ، ابو عبد الله ، معجم البلدان ،

دار الفكر ، ج ٥ / ص ١٥٦ ؛ السخاوي ، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، البلدانيات ، تحقيق حسام بن محمد ، طـ ١ ، دار العطاء ، (د . م - ٢٠٠١) ، ص ٢٦٥ .

٣٧. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ / ص ٤٤٧ .

٣٨. الجنزوري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٧١ .

٣٩. زكار ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ / ص ٣٢٥ .

٤٠. المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٣٢٥ .

٤١. المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٣٢٥ .

٤٢. المصدر نفسه ، ج ١ / ص ٣٢٦ .

٤٣. العريني ، الشرق الاوسط ، ج ١ / ص ٢٣٧ .

٤٤. الجنزوري ، الحروب الصليبية ، ص ٢٦٩ .

٤٥. الصلابي ، دولة السلاجقة ، ص ٥٦٤ .

٤٦. المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي ، ص ٢٣٥ .

٤٧. زكار ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ / ص ٣٥ .

٤٨. شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ٣١ .

٤٩. المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٥٠. قاسم ، عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة ، (الكويت - ١٩٩٠) ، ص ٢١١ ؛ شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ٣٠ .

٥١. شلبي ، الحروب الصليبية ، ص ٣٢ .

٥٢. قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ .

٥٣. مؤنس ، حسين ، الشرق الاسلامي ، (القاهرة - ١٩٥٦) ، ص ٣٨ ؛ المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ٢٥٧ ؛ المطوي ، محمود العروسي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، طـ ١ ، دار الكتب الشرقية ، (تونس - ١٩٥٤) ، ص ١٥٦ .

٥٤. البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٨ .

٥٥. المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

٥٦. ليون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، (القاهرة ـ ١٩٥٦) ، ص ١٦١ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٢ .

٥٧. ليون ، حضارة العرب ، ص ٢٦٦ ؛ المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي ، ص ٢٦٢ .

٥٨. ليون ، حضارة العرب ، ص ٣٦٥ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦١ .

٥٩. البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٢ .

٦٠. المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

٦١. المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

٦٢. ليون ، حضارة العرب ، ص ٣٤ ؛ البرجاوي ، الحروب الصليبية ، ص ١٦٣ .

Abstract

The Christians make up an important element of the population elements in the Levant and they were divided in the Levant to the different elements, including Christians, Syrians, Armenians and Greece, while the Syrians are Christians, they made a noticeable role for the crusade has collaborated with the Crusaders in the grab of Jerusalem as it was to help Christians relieved after great grab the Crusaders by the year (490 AH), as the Christians, the country's population to slaughter the garrison in relieved, and when he approached the Crusaders from Antioch did not find it difficult to seek friends in the inner city, so he joined the camp crusader large number of Christians of the population of Antioch, who routinely contact with their relatives in the inner city through the St. George's door in the West, Ftisr the Crusaders stand on what happens inside of Antioch, has suffered the Crusaders from the famine caused to them during the siege of Antioch until he was dying person out of every seven people, therefore hastened Christians and Armenians providing all they could collect the camp crusader, as was the Christians noticeable role in the takeover of the Crusaders on Maart 491 AH, when intensified hunger and thirst Balsalibin trapped sacred to the house of the year 492 AH the Christians act as mentors to the forests and springs areas as they helped Snagal Frankish in the siege of Tripoli the year 495 AH.